الجمعيات الثقافية في مواجهة سياسة التنصير في الجزائر – جمعية ابن باديس نموذجا–

د.بن سباع صليحة /د.بوعزة الصالح

جامعة سطيف 2

– ***ملخص:*** *لقد واجهت الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية ولا تزال تواجه أشرس أنواع المخططات التي تستهدف كيان الأمة وهويتها الثقافية ،انطلاقا من استراتيجية التجهيل والأمية، ومحو مقاومات الشخصية الوطنية كاللغة والدين والانتماء الحضاري، واستبدالها بعناصر الثقافة الغربية من لغة فرنسية ودين مسيحي ومسخ للهوية، وذلك بالاعتماد على البعثات التبشيرية بل التنصيرية، غير أنها وجدت مقاومات مختلفة ومشاريع ثقافية لمخططاتها بالمرصاد، أبرزها مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة ابن باديس، الذي اعتمد المنهج التربوي والتعليمي الذي يستثمر في الإنسان –ما يقارب ثلاثين سنة في الجامع الأخضر بقسنطينة –كآلية تربوية وقائية وعلاجية، توصلت إلى إفشال السياسة الاستعمارية التنصيرية بكل أشكالها وأبعادها –التي اعتمدت خلال قرن وثلاثين سنة – في تحقيق أهدافها ،حيث تمكنت الجمعية من إعادة الاعتبار إلى عناصر الهوية الوطنية، لاسيما الدين الإسلامي واللغة، وبنت جيلا تمكن من تحقيق الاستقلال بمفهومه الشامل وجيل الاستقلال مطالب بتجاوز المخاطر الجديدة المنضوية تحت غطاء العولمة الثقافية، ونحاول في هذا المقال تسليط الضوء على مشروع الجمعية –كنموذج يُحتَذَى به – والتركيز على دورها في خدمة الجانب الثقافي التربوي والتوعوي للمجتمع الجزائري بما يساهم في إثراء الموضوع.*

الكلمات المفتاحية : *سياسة التنصير، الهوية الثقافية، المنهج التربوي، العولمة الثقافية.*

- *Résumé:* *l'Algérie a fait face durant la colonisation à toutes sortes de planifications qui ciblent l'entité de l'état et son identité culturelle et qui la stratégie de l'analphabétisme et l'ignorance ainsi que l'effacement confortent du fondement du caractère national comme la langue , la religion et l'affiliation culturelle en les remplaçant par des composantes de la civilisation occidentale comme la langue française , le christianisme et l'effacement de l'identité. Cela s'est fait par l'envoi de missionnaires qui*

ont été confrontés à différentes résistances comme celle conduite par l'association des oulémas musulmans algérien fondée par IBN BADIS. Cette association a adopté l'approche éducative près de 30 ans à la mosquée EL EKHDAR à Constantine comme un mécanisme éducatif préventif et thérapeutique, cela a pu faire échouer la politique missionnaire coloniale dans toutes ses formes et ses dimensions adoptées durant un siècle et 30 années. L'association a pu restituer les composantes de l'identité nationale surtout la religion islamique et la langue, comme elle a pu former une génération qui a su comprendre l'indépendance dans son sens global et la liberté en dépassant les nouveaux dangers de la globalisation culturelle et en mettant en évidence le projet de l'association comme un modèle en s'axant sur son rôle culturel, éducatif et préventif dans la société algérienne.

Mots clés : *Politique de Christianisation, Identité culturelle, Système éducatif, Globalisation culturelle.*

- Abstract: *Algeria faced during the colonial period, and still faces, one of the most dangerous strategies to alter its cultural identity as a nation, targeting identity markers such as the language, religion and cultureof the country in order to assimilate them into the French language and Christianity. However, the colonial assimilation policy was met by a fierce resistance by Algerian Muslim Scholars Association (the Ulama) led by Cheikh Ibn Badis who kept teaching the principles of Islam for more than thirty years in Al Ekhdar mosque, in Constantine. Ibn Badis's association worked to rehabilitate the components of national identity and formed a generation of Algerians who would struggle for the country's independence. In this paper, I focus on the association's project and its role in re-asserting Algeria's cultural identity.*

Key words: *Christianization policy, Cultural identity, educational system, cultural globalization*

مقدمة: تعتبر فترة الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي حسب عمامرة (2009) من أهم فترات التاريخ الجزائري الحديث والمعاصر –حيث اشتد فيها ساعد الحركة الوطنية من ناحية –كما اشتدت فيها ضغوط الاحتلال الفرنسي، على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الأساسية، من لغة، تاريخ، ثقافة، ودين وحضارة من ناحية أخرى ومن أبرز الحركات الوطنية" في الميدان التربوي، الديني، الثقافي والقومي "، التي ظهرت في فترة الثلاثينات من القرن العشرين

الميلادي(جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي تأسست في 5 ماي سنة 1931 بعد أن بلغ عمر الاستعمار في الجزائر قرنا كاملا (1830 –1930).

وقد أوضح سعد الله أنه كان لمجموعة من رجال الإصلاح في الجزائر جهود حثيثة للحفاظ على الشخصية الوطنية للشعب، ولكنها كانت جهودا فردية مشتتة لم يُتَحْ لها أن تؤتي أكلها في واقع المجتمع الجزائري، وإن تركت بعض التأثير ومهدت الطريق لمن جاء من بعد، وأول هؤلاء هو الإمام عبد الحميد بن باديس (1889–1940م)، الذي باشر على إثر عودته بشهادة التطويع من جامع الزيتونة بتونس سنة (1913م) مهمة التعليم المسجدي بمدينة قسنطينة، فكان يعلم الصغار والكبار ابتداء من صلاة الفجر، وانتهاء بعد صلاة العشاء فوجا بعد فوج، وقد استطاع في مدة وجيزة أن يعلم ويربي عشرات من الشباب، ويوجههم لخدمة العمل الإصلاحي، ويعد اعتماد المواجهة الثقافية معلما بارزا من معالم منهجية التغيير الحضاري عند ابن باديس إن لم يكن أهمها على الإطلاق، ومن الطبيعي أن لا يكون هذا الاختيار–الذي أحدث تغييرا عميقا وجذريا في بنية المجتمع الجزائري وحول مجرى التاريخ– اعتباطيا أو عفويا، بل كان مبنيا على أساس متين من الدراسة العميقة المتأنية في واقع الأمة الجزائرية وطبيعة الاستعمار الفرنسي، ذلك أن ابن باديس كان –قبل أن يخوض غمار تجربته في التغيير– قد اكتسب معرفة دقيقة بالواقع الجزائري حيث أسهمت ثقافته الموسوعية وخبرته التاريخية واحتكاكه المتواصل بمختلف شرائح الأمة الجزائرية في فهم طبيعة المجتمع الجزائري وتشخيص أمراضه وعلله تشخيصا صحيحا، وإدراك أسراره وملابساته وقضاياه، ورصد ظواهره ومعرفة ما يسوده من مذاهب، وما يحركه من عوامل، وما يصطرع فيه من قوى وما يعاني من أزمات وقد عزز هذه المعرفة العميقة للواقع، بقراءة واعية للتاريخ الجزائري منذ الاحتلال الفرنسي حتى قيام الحرب العالمية

الأولى، وهي التي مكنته من رصد مكامن قوة العدو وتقديرها، ودراسة ظروف ثورات المقاومة الشعبية.

نهدف من خلال هذا المقال تسليط الضوء على مشروع جمعية العلماء المسلمين في فترة الاحتلال، ودورها في محاربة التنصير كمشروع ثقافي استعطاني من خلال الثلاثية المقدسة (الدين، اللغة والوطن)، وسنعالج ذلك من خلال العناصر الآتية:

أولا: التنصير كمحاولة لطمس الهوية الإسلامية للشعب الجزائري

ثانيا: جمعية العلماء المسلمين ودورها في محاربة التنصير إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر.

ثالثا: مجالات الإصلاح الإسلامي التي عمل فيها الشيخ عبد الحميد بن باديس.

أولا: التنصير كمحاولة لطمس الهوية الإسلامية للشعب الجزائري: لم تكن الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م، مجرد هجوم عسكري غرضه تأديب الداي حسين حاكم الجزائر آنذاك، الذي ادعت فرنسا أنه أهان قنصلها في الحادثة الشهيرة المعروفة بحادثة المروحة، بقدر ما كانت حملة عسكرية الوسائل، صليبية الروح، حضارية الأهداف لقد عمل الاحتلال منذ أول يوم دخل فيه الجزائر على استخدام السلاح الأكثر مضاء والأشد فتكا لتحقيق البقاء له والامتداد في هذه البلاد وضمان استمرار سيطرته عليها، ألا وهو سلاح الثقافة والفكر الذي يؤثر على المستوى البعيد، فهو نوع من الغزو والتخطيط لمحاولة تغريب المجتمع الجزائري وتنصيره، فالاجتياح الفرنسي للجزائر يحمل بين طياته –بالإضافة إلى الطمع في الثروة والرغبة في التوسع– أهدافا صليبية أكيدة بدت مظاهرها تظهر من خلال وفود جماعات هامّة من القساوسة والرهبان مع الجيش الفرنسي، ترافقه في رحلته وترحاله تحدوها الأحقاد الدينية التي تراكمت خلال قرون طويلة من الصراع

المرير بين الإسلام والمسيحية على ضفتي البحر الأبيض المتوسط، وتمهد لحملة صليبية شرسة على الشعب الجزائري المسلم، تعيد بها أمجاد المسيحية القديمة في شمال إفريقيا.

-**التنصير أهدافه ووسائله في الجزائر:** ورد تعريفه في الموسوعة الميسرة بأنه حركة دينية سياسية (نصرانية)بدأت في الظهور اثر فشل الحروب الصليبية (أورد في: عبد اللاوي، 2009)، وحسب كونوي زيقلر هو دعوة الناس للدخول في النصرانية فان لم يدخلوا فيها فليخرجوا من دينهم وبخاصة المسلمين، بهدف نشر النصرانية بين الأمم المختلفة الأجناس في جميع أنحاء العالم، وبين المسلمين بصفة خاصة بغرض إحكام السيطرة على هذه الشعوب.

-**أهداف التنصير:** وتظهر سياسة التنصير في الجزائر وفق عمامرة (2009) في أن فرنسا قامت بالاعتداء على كل المقدسات الإسلامية، من أوقاف إسلامية ومساجد وزوايا، ومدارس عربية إسلامية، ومكتبات دينية ،رغم الاتفاقية التي أمضتها مع حكومة الجزائر التي كانت قائمة عند بداية الاحتلال في عام 1930، من أنها لن تعتدي على مقدسات الشعب الجزائري الإسلامي –فقد قامت بالاستيلاء على معظم المساجد –في عاصمة البلاد وغيرها من المدن الجزائرية الأخرى، فحولت بعضها إلى كنائس للدين المسيحي، والبعض الأخر إلى كاتدرائيات لنفس الدين، مثل جامع كتشاوة، وجامع علي بتشيني، وقد أعلن سكترتير الجنرال peugeot، حاكم الجزائر العام عندما حولت فرنسا جامع صالح باي في مدينة قسنطينة بعد احتلالها في عام 1837 إلى كاتدرائية للديانة المسيحية، أعلن فوق منبر الجامع الإسلامي الكبير صراحة قائلا: " أن أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر اله أخر غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه البلاد تملكها فرنسا، فلا يمكننا أبدا أن نشك على أي حال من الأحوال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أما العرب (ويعني بذلك الشعب

الجزائري) فلن يكونوا رعايا لفرنسا إلا إذا أصبحوا جميعا مسحيين"، ونوجز أهداف التنصير في النقاط الآتية الذكر: (أورد في: عبد اللاوي، 2009),

- ✓ الصد عن سبيل الله بالقوة.
- ✓ أن تكون سبيل الله مائلة عائلة، وهي المستقيمة في نفسها لا يضرها من خالفها ولا من خذلها.
- ✓ أن يتبع المسلمين ملة النصارى.
- ✓ أن ترتد الأمة الإسلامية وترجع عن أدبارها.
- ✓ الحرص على ما يعنت المسلمين ويشق عليهم ويضرهم ويفسد عليهم أمرهم.
- ✓ فتنة المسلمين والكيد لهم وخذلانهم وخذلان دينهم.

حينما نستعرض ما كتبه المنصرون عن أهدافهم، نجد أن أهدافهم لا تخرج عن النقاط الثلاثة الآتية:

- ➢ تفريق الوحدة الإسلامية التي كانت على الدوام المظلة التي استطاعت أن تحمي العالم الإسلامي ... من نوائب الدهر ومؤامرات الأعداء.
- ➢ إخضاع العالم الإسلامي للسيطرة الغربية النصرانية والتحكم في خيراته ومدخراته
- ➢ السيطرة السياسية والتوسع الاستعماري.

–**وسائل التنصير:** لا شك أن البعد الصليبي الحاقد كان أكثر العوامل الدينية والثقافية دفعا إلى شن الحملة الفرنسية على الجزائر، إذ كان احتلالها بمثابة رأس الحربة التي أريد بها تمزيق وحدة المسلمين في إطار الغارة الصليبية الشاملة على العالم الإسلامي بعد ثبوت انهيار الرجل المريض، وهو الدولة العثمانية التي كانت تحمي الوجود الإسلامي وتمثله في البحر الأبيض المتوسط..، وقد ظهر ذلك من خلال الروح الصليبية التي صحبت الحملة، والتي لخصها شارل العاشر (1757–1880م)، الذي أمر باحتلال الجزائر، وقال مبررا عمله ذاك: "إن العمل الذي

سأقوم به لترضية شرف فرنسا، سيكون بإعانة العلي القدير لفائدة المسيحية جمعاء" (أورد في: فلوسي).

وبناءً على ما سبق فإن وسائل التنصير في الجزائر إبان فترة الاحتلال تتلخص فيما يلي:

-**فرض النصرانية بالقوة :** والهدف الأساسي هو تفكيك وحدة المسلمين بالقوة يقول المنصر **تشارلز كرافت:** "إن الاستراتيجية التنصيرية الأوروبية الأمريكية كانت عموما مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعقلية الاستعمارية، ولهذا السبب كانت ناجحة كلها تعرضت الشعوب إلى التأثير القوي وحتى التخويف بواسطة الانجازات الثقافية الأوروبية الأمريكية ،لقد كنا تماما مثل المهودين" (أورد في: عبد اللاوي، 2009).

-**إشاعة الإلحاد بين المسلمين:** من أسمى غايات المشروع التنصيري في بلاد المسلمين هو أن المسلمين إذا لم يدخلو في المسحية، فإنهم أصبحوا ملحدين لا يعرفون الصلة بالله ولا يردون أن يعرفوها، إذ يقول المبشر النصراني زويمر في المؤتمر التبشيري الذي عقد في القدس سنة 1935: "إنكم أعددتم نشئاً في بلاد المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده الاستعمار المسيحي، لا يهتم بالعظائم ،ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه، وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضي عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء رسالتكم، فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب" "(أورد في: عبد اللاوي، 2009).

-**مواجهة الدعوات الإسلامية والحركات الإصلاحية التجديدية:** حرص أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حسب فلوسي على إقامة الدروس الدينية

في المساجد الحرة، وكذا إلقاء المحاضرات المتنوعة الاجتماعية والتاريخية ذات التوجه الوطني، في النوادي التي أسستها الجمعية عبر مختلف مناطق التراب الوطني..، وقد كان القصد من وراء هذه الدروس والمحاضرات؛ التعريف بالإسلام الصحيح ومكافحة الإلحاد والتنصير الذي كانت الجهات الاستعمارية دائبة في نشره وترسيخه في واقع المجتمع الجزائري، وكذا تعريف الإنسان الجزائري بحقيقة هويته الحضارية ورصيده التاريخي والثقافي، وقد حاول الاحتلال الفرنسي تشويه هذه الحركات ومحاربتها بكل الوسائل بما في ذلك القوة والاضطهاد، ونعتها بالرجعية والإرهاب، وبالأخص جمعية العلماء المسلمين بزعامة العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس.

-دراسة أحوال العالم الإسلامي وأوضاعه الداخلية: ذكر عمامرة (2009) أنه لا يخفى على أحد ما تعرضت له وما تزال تتعرض له الأقطار العربية والإسلامية من فتن ودسائس ومكائد وحروب، وبالأخص الدول التي لها وزنها على الساحة الدولية، ونحص بالذكر لا الحصر: الجزائر، العراق اندونيسيا، الصومال، باكستان وإيران، فكل دولة من هذه الدول نجد أن لها ما يميزها من حيث الموقع الجغرافي الهام والموارد البشرية وكذا الثروات المادية فكان الهدف الأساسي هو طمس الهوية الإسلامية بشتى الطرق من نشر النصرانية والإلحاد وإضعاف النفوس ونشر الرذيلة والفساد في جميع الميادين حتى يتسنى لهم التأثير الفكري والثقافي وبالتالي الاستيلاء على خيرات المنطقة، "فقد كان للاحتلال الفرنسي إلى جانب ذلك يهدف في المدى البعيد إلى طرد القرآن الكريم الذي هو أساس الإسلام، وأساس اللغة العربية في أقطار المغرب العربي حتى تتمكن أعلام النصرانية أن ترفرف وحدها في سماء تلك الأقطار ..إن خطط الاحتلال الفرنسي وأعوانه وعملائه كانت تتمثل في ثلاثة محاور أساسية هي :الفرنسية، التنصير التجنيس والاندماج".

فالغرب المسيحي التبشيري بل التنصيري وفق عبد اللاوي (2009) يسعى إلى جعل المسلمين في جميع أنحاء المعمورة أقلية مستضعفة التركيز على: الانقلابات العسكرية، المطالبة بالحرية الدينية والفكرية، تحريف القرآن الكريم والإساءة إليه، التركيز على المرأة وضرورة إعطائها الحرية المطلقة ...الخ.

ثانيا: جمعية العلماء المسلمين ودورها في محاربة التنصير إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر: شهد الربع الأول من القرن العشرين استنادا لكل من فضيل ورمضان (1998) بوادر حركة مقاومة وطنية تختلف في طبيعتها وفي أساليبها وأدواتها عن أشكال المقاومة السابقة، إن هذه البوادر التي تجلت في بداية الأمر في شكل جهود فردية ونشاطات فكرية في ميادين مختلفة، كانت تجسد حقيقة من الحقائق الوطنية التي ظلت تعيش في أعماق الجزائريين الأحرار، وهي أن مقاومة العدو المحتل لا يمكنها أن تتوقف إلا بعد إجلائه من البلاد، كما كانت تعبر عن حقيقة أخرى وهي أن تعبئة الإنسان الذي هو أساس المعركة النضالية، وإعداد المناخ الفكري، الذي يغذي وعيه، ويفر الأرضية التي تنطلق منها المعركة هو ضمان نجاحها لأن مواجهة الاحتلال بدون إعداد سياسي وفكري وثقافي للمواطنين الذين هم عدة هذه المواجهة المسلحة لا تحقق نتاجها المرجوة.

-إنشاء الجمعية ودورها في خدمة الجانب الثقافي التربوي والتوعوي للمجتمع الجزائري: تم إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفق فضيل ورمضان (1998) سنة 1931، وكان إنشاؤها عشية احتفال المستعمرين بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، ذلك الاحتفال الذي كان الفرنسيون يريدون منه أن يكون بمثابة الإعلان عن موت الكيان الجزائري وذوبانه المطلق في فرنسا، لذلك كان إعلان إنشاء الجمعية ضربة قاصمة وجهها رواد الإصلاح للاحتلال وأذنابه في الجزائر، فكان أن أدرك أن جهوده لم تحقق ما كان يصبو إليه، بل إن تلك الجهود تكاد تذهب أدراج الرياح إذا ما أتيح لهذه الجمعية أن تستمر ولعملها أن يثمر

وينتشر في أرجاء الجزائر. وبالفعل تفرق قادة جمعية العلماء وأعضاؤها عبر التراب الوطني، وفي المدن الكبرى بصفة خاصة حيث تولى كل واحد منهم رعاية أعمال الجمعية وتجسيد مشاريعها الفكرية والثقافية والتربوية في الواقع، فتولى الإمام ابن باديس مهام إدارة الجمعية في الشرق الجزائري من قسنطينة، والإمام البشير الإبراهيمي في الغرب الوهراني من تلمسان، والشيخ الطيب العقبي في الجزائر، والشيخ العربي بن بلقاسم التبسي في تبسة، والشيخ مبارك الميلي في الأغواط، بينما تولى كبار تلاميذ ابن باديس مهام الجمعية في مختلف أنحاء المدن الجزائرية، " إن هذه الحركة اتسمت بالشمول والتنظيم بدأت إرهاصاتها وبوادرها الأولى قبيل الحرب العالمية الأولى، وظهرت طلائعها وأعمالها بعد ذل، وبدأت تنشط في الخفاء أحيانا وفي العلن أحيانا أخرى، بأسلوب جاد وجريء تارة أخرى، وبأسلوب هادئ وحذر تارة أخرى، حسب طبيعة كل هيئة، "وبطبيعة الحال كان الجميع يترقب نتائج هذه الحركة الوطنية، والتي اتخذت بعض تنظيماتها طابع المواجهة السياسية والنضال الحزبي وبعضها الأخر طابع المواجهة الثقافية والإصلاح الديني والاجتماعي، وهذا هو الذي يهمنا في هذا المقال الذي جعل الإمام عبد الحميد بن باديس موضوعا له.

– **المشروع الحضاري للشيخ عبد الحميد بن باديس:** ولد عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس في ليلة الجمعة 1308 ه الموافق ل: الرابع من شهر ديسمبر سنة 1889م، في مدينة قسنطينة بالشرق الجزائري وكان الوالد البكر لوالديه، وقد تلقى تعليمه على الطريقة التقليدية فحفظ القرآن الكريم –أولا وكان عمره يبلغ ثلاثة عشر عاما –وكان المؤدب الذي حفظ عليه القرآن الكريم معجبا به إعجابا كبيرا نظرا لذكائه، واستقامة خلقه، وسيرته الطيبة ولذلك قدمه لإمامة المصلين في صلاة التراويح في شهر رمضان المعظم لمدة ثلاث سنوات متوالية في الجامع الكبير بمدينة قسنطينة ....، ولم يلتحق شيخنا الجليل بالمدارس

الفرنسية كغيره من أبناء العائلات الكبيرة آنذاك، واختار له والده أحد علماء مدينة قسنطينة وهو الشيخ أحمد حمدان لونيسي، لكي يلقنه العلوم العربية والإسلامية، وفي عام 1908 سافر عبد الحميد بن باديس إلى تونس لإكمال تعليمه الثانوي والعالي بجامع الزيتونة المعمور، وقد مكث طالبا مكبا على العلم والتعليم في تونس مدة أربع سنوات نال في نهايتها شهادة العالمية، ثم مكث عاما خامسا في تونس مدرسا في جامع الزيتونة.

إن طريقة الشيخ عبد الحميد بن باديس في التعليم فقد كانت تجمع بين الجانب النظري والعملي حتى في الشواهد التي كان يضربها لتطبيق قاعدة نحوية أو بلاغية، أو خلقية أو أدبية كان يختار من الشواهد التي تتضمن تربية دينية، أو خلقية، أو اجتماعية، أو سياسية أو وطنية، والمشروع الحضاري له يتمثل في المحافظة على التراث العربي الإسلامي في الجزائر كهدف سامي والتحرر من الاحتلال من خلال مواجهة سياسة التنصير، والفرنسة، والتجهيل، والتجنيس والاندماج التي انتهجتها فرنسا في الجزائر وتلخص مشروعه فيما يلي (أورد في: عمامرة، 2009):

- ✓ بناء المدارس العربية الإسلامية الحرة.
- ✓ تأسيس المساجد الحرة.
- ✓ تأسيس النوادي الحرة.
- ✓ تأسيس الجرائد والمجلات للتكوين السياسي والثقافي للجزائريين والجزائريات.
- ✓ تكوين المطابع العربية لإحياء ونشر الثقافة العربية الإسلامية في الكتب والمجلات والجرائد .
- ✓ تكوين فرق الكشافة الإسلامية من أجل تربية الشبيبة الجزائرية.

-الدور الثقافي والتربوي والتوعوي لجمعية العلماء المسلمين: حرصت الجمعية في الحقيقة، حسب فلوسي أن تتسم البرامج التعليمية والكتب والطرق المعتمدة في مدارسها بالتجديد ورفض الجمود والتقليد، فكانت تنتقي الكتب المقررة في المواد الدراسية انتقاءً دقيقا، فتختار، "ما هو أقرب إلى الإفادة، واعون على تحصيل الملكة العلمية، وتجتنب الكتب الجامدة المعقدة التي لا تفتق ذهنا ولا تبعث في نفس الدارس نشاطا وتختار للمطالعة في مختلف العلوم الكتب الحية السهلة، وكانت العلوم التي تدرس للناشئة والطلبة في مدارس ومساجد الجمعية، تتمثل في العلوم الشرعية واللغوية، وهي: العقيدة التفسير، الحديث، الفقه، الأدب، المواعظ، التجويد، أصول الفقه، المنطق، النحو الصرف، البلاغة، المحفوظات، المطالعة، الإنشاء، الحساب، الجغرافيا، التاريخ.

وأوضح عمامرة (2009) أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعبت دورا بالغا الأهمية في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، في المحافظة على الثقافة القومية، ونشر التعليم العربي الإسلامي، حيث شملت مدارسها كافة المناطق الجزائرية، كما شمل مجهودها العمال الجزائريين في فرنسا،... وقد بلغت جملة مدارسها حتى عام 1954 أكثر من 150 مدرسة يرتادها أكثر من خمسين ألف طفل وبنت يدرسون فيها مبادئ اللغة العربية وآدابها، وأصول الدين الإسلامي، والتاريخ الجزائري والإسلامي...، وقد تخرج من هذه المدارس عشرات الآلاف من أبناء الجزائر وبناتها يحملون علما قليلا، ولكن معه فكر صحيح، وعقيدة سليمة، ونظرة إلى الحياة سديدة.

ثالثا: مجالات الإصلاح الإسلامي التي عمل فيها الشيخ عبد الحميد بن باديس: لقد اختار ابن باديس وفق تركي التعليم أسلوبا من أساليب المقاومة والتحدي لسياسة الاحتلال، التي كانت مكرسة لطمس المعالم الثقافية، ومسخ القيم الوطنية، بهدف قطع الروابط التي تربط الجزائر ماضيا وحاضرا بثقافتها ولغتها، ودينها وانتمائها الحضاري، وحتى تنشأ الأجيال في ظل هذه السياسة نشأة ممسوخة

في كل شيء، ومقطوعة عن جذورها. وقد أضاف عمامرة (2009) أن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان يهدف في عمله التربوي والإصلاحي العظيمين إلى تكوين أجيال تؤمن بعقيدة إسلامية خالية من البدع، والخرافات، وبفكر نير وواع، وبوطنية صحيحة لأن هدفه البعيد هو تغيير الواقع الجزائري تغييرا جذريا، ويمكن الإشارة بكل اختصار إلى أهم المجالات التي ركز عليها العلامة من اجل بناء نهضة الجزائر في المجالات التالية:

-**إصلاح عقلية الجزائريين:** يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس: "فإننا نربي –والحمد لله تلاميذنا على القرآن، ونوجه نفوسهم إلى القرآن، من أول يوم، وفي كل يوم وغايتنا التي تستحق إن شاء الله أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودهم" (أورد في: عمامرة، 2009).

كما بين كل من فضيل ورمضان (1998) أن نظرة إلى الإنسان نظرة واقعية لا تجزيء حقيقة الإنسان، ولا تختصرها في بعد واحد من الأبعاد المكونة لهذه الحقيقة ...، وقد بين وهو يتحدث عن نهضة الفكر (العنصر الجوهري في الإنسان) أن أساس النهضة هو التفكير المتجدد في أمور الدين والدنيا، فهو يسعى للتغيير الايجابي والفاعل في الإنسان الجزائري وجعله قادر على إدراك الحقائق لكي يعي طبيعة الاحتلال الفرنسي ويسعى لمحاربته بشتى الطرق.

-**إصلاح عقيدة الجزائريين:** وجاء القانون الأساسي للجمعية حاملا لهذا الأصل الأصيل، فقد جاء فيه: والعقيدة الحقَّة لها ميزان دقيق وهو الكتاب والسنَّة، فإذا عرضنا أكثر عقائد النَّاس على ذلك الميزان وجدناها طائشة، فأيُّ سبيل نسلكه لتقويمها؟ إن اقتصرنا على بيان العقيدة الصحيحة واجتهدنا في إقامة الأدلَّة، فإنّ التَّأثير يكون قليلاً، لأنَّ النُّفوسَ قد اصطبغت بعوائد وتقاليد مستحكمة، والفِطَرَ قد فسدت بما لابسها من خرافات وأوهام، فالواجب إذن أن نبدأ بمحاربة تلك البدع والخرافات بطُرق حكيمة تقرُب من أذواق النَّاس، فإذا ماتت البدع والخرافات

وصَفَت الفطرُ من ذلك الشَّوب سَهُل تلقين العقيدة الصَّحيحة وتلقَّتها الأمَّة بالقبول. ويرى الشيخ عبد الحميد بن باديس حسب عمامرة (2009) أن الذين تسببوا في جمود الفكر الإسلامي وأكثروا من البدع في الدين، هم رجال الطرق الصوفية أو بعضهم على الأقل، لذلك أعلن في مجلة الشهاب، "بأن الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف الصالح، ومبناها كلها على الغلو في الشيخ، والتحيز للأتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ، وأولاد الشيخ، إلى ما هنالك من استغلال وإذلال، ومن تجميد للعقول، وغير ذلك من تلك الشرور".

لذلك عمل الشيخ بن باديس بكل نشاط وهمة على إصلاح عقيدة الجزائريين وتطهيرها من تلك الأوضاع الطرقية المنافية للعقيدة الإسلامية الصحيحة التي روجوها بين العامة على أنها من الدين، والدين برئ منها.

-**إصلاح أخلاق الجزائريين:** لقد كان إحياء فكرة الوطن والوطنية وإقناع الجزائريين أن للجزائر شخصية حضارية متميزة تختلف جذريا عن الدولة الفرنسية في الدين واللغة والتاريخ والثقافة، ضربة قوية لمشروع الإدماج الذي كانت تراهن عليه السياسة الاستعمارية، وتعده خطوة مهمة نحو احتواء الجزائر نهائياً. وقد اعترف أحد الكتاب الفرنسيين أن العلماء الجزائريين هم الذين وضعوا فكرة الوطن الجزائري واليهم يرجع الفضل في غرس بذرة الوطنية وتعهدها حتى نمت في النفوس وأينعت عندما قال: "إن مجدد فكرة الوطن الجزائري هم بالأحرى هؤلاء الذين أسسوا جمعية العلماء أي الشيخ عبد الحميد ابن باديس وأشد إتباعه حماسة كالشيخ الإبراهيمي والعقبي (أورد في: زرمان).

والشيخ عبد الحميد بن باديس يذهب إلى أن الأخلاق تنبع من داخل الفرد وبالتالي يجب تطهير القلوب، وتهذيب النفوس، وإصلاح العقائد، حتى يعمل الفرد على تغيير ما بنفسه لكي يغير الله ما به من سوء وانحطاط، وهو من بين أكبر قادة الجزائر دفاعا عن مقومات الشخصية الجزائرية، وتتمثل في: الإسلام، العروبة والجزائر (أورد في: عمامرة، 2009)، كما حارب المنكرين للشخصية الجزائرية

وكذلك دعاة الاندماج والتجنيس، وأصدر فتوى بتكفير المتجنسين بالجنسية الفرنسية.

-**خاتمة:** يعتبر عبد الحميد بن باديس من أبرز أعلام جمعية العلماء المسلمين التي ساهمت في التصدي لسياسة فرنسا التنصيرية إبان فترة الاحتلال التي حاولت بشتى الطرق انطلاقا من استراتيجية التجهيل والأمية والتنصير، ومحو مقومات الشخصية الوطنية انطلاقا من خطة التجهيل ونشر الخرافات وأبعاد الشعب الجزائري عن هويته الإسلامية، العربية، الأمازيغية ، فحاربت الجمعية هذه الوضعية المزرية من خلال تفعيل الثلاثية المقدسة: الدين، اللغة والوطن.

كانت تهدف الحركة التغييرية التي قام بها ابن باديس إلى العودة بالمجتمع الجزائري إلى الإسلام الأول في صفائه ونقائه الأول، ثم تحريره من الاستعمار الأجنبي وما قام به من تغيير في طبيعة الشخصية الجزائرية، ولقد أدرك أن هذا الأمر لا يتم دفعة واحدة بل تدريجيا وفق خطة ثقافية تربوية، إذ أن الزمن الذي استغرقه انسلاخ المسلمين من التصورات العقدية السليمة واغترابهم عن قيمهم، والأحكام الشرعية، والفضائل الإسلامية يمتد إلى قرون عديدة، فكان من الضروري اعتماد فقه المرحلية والتدرج في علاج الواقع الاجتماعي المتردي، ومن الضروري أخذ النفوس بالحكمة وتربية الأمة عبر مراحل، من أجل تحقيق أهداف الجمعية، وقد مرّ ابن باديس في تجربته التغييرية بالعديد من العراقيل من بينها مكائد الاحتلال ومحاولته المتكررة للإشاعة الفترة وتفرقة الجمعية وجعلها تحيد عن هدفها السامي، إلا أن محاولاته باءت بالفشل لأن جمعية العلماء المسلمين انتشرت عبر كامل التراب الوطني وجعلت الشعب الجزائري يلتف حولها ويسعى لتحقيق أهدافها ومن خلال جهودها الفكرية اندلعت ثورة أول نوفمر سنة 1954م والتي حققت الانتصار المستحق بقوة السلاح على المستعمر الفرنسي في 5 جويلية 1962 م.

-قائمة المراجع:

1- تركي، رابح (دس). التعليم القومي والشخصية الوطنية. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

2- زرمان، محمد أستاذ بجامعة قسنطينة – الجزائر ،من معالم التغيير عند ابن باديس http://maliki.montadamoslim.com/t8-topi .

3- سعد الله، أبو القاسم (دس). الحركة الوطنية الجزائرية. الجزائر: دار الغرب الإسلامي.

4- عبد اللاوي، موسى (2009).المصباح لإنارة طريق الفوز والنجاح (خطب منبرية ،ودروس ومواعظ إرشادية) الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع.

5- عمامرة، تركي رابح (2009). الشيخ عبد الحميد بن باديس (باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة). الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

6- عمامرة، تركي رابح (2009). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956) ورؤساؤها الثلاثة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية.

7- فلوسي، مسعود، دور جمعية العلماء في مواجهة المشروع الاستعماري في الجزائر http://www.oulama.dz/?p=3746.

8- فضيل، عبد القادر و رمضان، محمد الصالح (1998). إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس. الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر.

9- كونوي زيقلر، هنري (دس). أصول التنصير في الخليج (ترجمة مازن مطبقاني). السعودية: مكتبة ابن القييم: المدينة المنورة.